



العقل الأداتي وإشكالية اغتراب الإنسان عند ماكس هوركهايمر وتيودور أدورنو: جدل العقل والحرية والهيمنة نجات محمد الفيتوري رحومه

قسم الفلسفة – كلية الآداب العجيلات – جامعة الزاوية

*Instrumental Reason and the Problem of Human Alienation
According to Max Horkheimer and Theodor Adorno: The Dialectic of Reason, Freedom,
and Domination*

Najat Mohamed Al-Fitouri Rahouma

Department of Philosophy – Faculty of Arts, Al-Ajelat – University of Zawia

n.rahouma@zu.edu.ly

<https://orcid.org/0009-0002-2882-1305>

تاريخ الاستلام: 2026/09/03 - تاريخ المراجعة: 2026/09/03 - تاريخ القبول: 2026/10/08 - تاريخ النشر: 10/12/

2026

الملخص

يتناول هذا البحث إشكالية العقل الأداتي بوصفها إشكالية في بنية العقل الحديث وفي علاقته بالإنسان والحرية والمعنى، من خلال قراءة نقدية في فكر ماكس هوركهايمر وتيودور أدورنو، وينطلق من سؤال محوري مؤداه: كيف انقلب العقل الذي ارتبط في مشروع التنوير بوعده التحرر إلى نمط من العقلنة يجعل الكفاءة والحساب والسيطرة معايير حاكمة للفعل، ثم يعيد تشكيل الذات الإنسانية وفق مقتضياتها؟ ويبين البحث أن الاغتراب، في هذا السياق، لا يقتصر على انفصال الإنسان عن العمل أو المجتمع، بل يمتد إلى اغترابه عن ذاته وعن قدرته على تحديد غاياته بحرية، وإلى تحول علاقته بالطبيعة والآخر والمعرفة إلى علاقة استعمال وضبط، واعتمد البحث المنهج التحليلي النقدي، مع الاستفادة من التتبع التاريخي للمفاهيم، للكشف عن الصلة بين نقد العقل الموضوعي والذاتي عند هوركهايمر، ونقد الهوية والتماثل والجدل السلبي عند أدورنو، وبين صور التشيؤ وفقدان الاستقلال الذاتي، وخلص البحث إلى أن القيمة الفلسفية للنظرية النقدية لا تتمثل في رفض العقل أو التقنية، بل في مساءلة اختزال العقل في وظيفته الأداتية، والدفاع عن عقل يحتفظ بقدرته على نقد الغايات، وصون الاختلاف، وربط التقدم بالحرية والكرامة والمعنى.

الكلمات المفتاحية: العقل الأداتي؛ الاغتراب؛ الحرية؛ الهيمنة؛ التشيؤ؛ هوركهايمر؛ أدورنو؛ النظرية

النقدية.

Abstract

This study examines the problematic of instrumental reason as a fundamental problem embedded in the structure of modern rationality and in its relationship to the human being, freedom, and meaning, through a critical reading of the thought of Max Horkheimer and Theodor W. Adorno. It proceeds from a central philosophical question: How did reason, which within the Enlightenment project was associated with the promise of emancipation, turn into a mode of rationalization in which efficiency, calculation, and domination became governing criteria of action, ultimately reshaping human subjectivity in accordance with their imperatives?

The study argues that, within this context, alienation cannot be reduced merely to the individual's separation from labor or society; rather, it extends to the alienation of the human being from the self and from the capacity to determine ends

autonomously, It also manifests itself in the transformation of the individual's relationship with nature, the Other, and knowledge into a relationship governed by utility, control, and domination.

The study adopts a critical-analytical approach, while drawing upon the historical development of philosophical concepts, in order to reveal the relationship between Horkheimer's critique of objective and subjective reason and Adorno's critique of identity, sameness, and negative dialectics, on the one hand, and the various forms of reification and the erosion of autonomy, on the other.

The study concludes that the philosophical significance of Critical Theory lies neither in the rejection of reason nor in the repudiation of technology, but rather in questioning the reduction of reason to its instrumental function. It thereby defends a conception of reason capable of critically examining ends, preserving difference and non-identity, and reconnecting the idea of progress with freedom, human dignity, and meaning.

Keywords: Instrumental Reason; Alienation; Freedom; Domination; Reification; Horkheimer; Adorno; Critical Theory.

المقدمة

ارتبط مشروع الحداثة الأوروبية بوعد فلسفي أساسي قوامه أن يكون العقل أساسًا لتحرر الإنسان من الخوف والوصاية، وأن تمنح المعرفة للذات قدرة أكبر على فهم العالم وتقرير مصيرها، غير أن التجربة التاريخية للقرن العشرين كشفت مفارقة حادة: فقد تزامن التقدم العلمي والتنظيمي مع أشكال واسعة من السيطرة والتوحيد والتشويه، الأمر الذي دفع مدرسة فرانكفورت إلى نقل السؤال من مقدار ما حققه العقل من معرفة إلى نوع العقلانية التي أصبحت مهيمنة، ومن هنا لم يعد السؤال: هل أصبح الإنسان أكثر قدرة على السيطرة على العالم؟ بل: هل جعلته هذه القدرة أكثر حرية فعلًا؟ وقد اتخذ هوركهايمر وأدورنو من هذه المفارقة مدخلًا لنقد العقل الحديث، لأن أزمة الإنسان، في تصورهما، ترتبط بتحول داخلي في وظيفة العقل نفسه، من مساءلة الغايات إلى إحكام السيطرة على الوسائل.⁽¹⁾

لا يعني نقد العقل الأداتي إدانة العقل من حيث هو قدرة إنسانية على الفهم والحكم، وإنما يتجه إلى نقد اختزاله في وظيفة حسابية تقيس صلاحية الفعل بمدى كفاءته في بلوغ غاية مقرر سلفًا، ففي هذا الاختزال يتراجع السؤال عن عدالة الغاية ومعناها ومشروعيتها، ويصبح النجاح مرادفًا للقدرة على التنظيم والضبط، وهنا يظهر التمييز الذي يقيمه هوركهايمر بين عقل يحتفظ ببعد موضوعي أو معياري يسمح له بمناقشة الخير والحرية والعدالة، وعقل ذاتي أو أداتي يكتفي بحساب الوسائل والملاءمة، ومن هذه الزاوية تصبح أزمة العقل أزمة في معيار العقلانية ذاتها: هل يكون الفعل عقلانيًا لأنه ناجح تقنيًا، أم لأن غايته قابلة أيضًا للتبرير والنقد؟⁽²⁾

ويتعمق هذا الإشكال عند أدورنو، إذ لا تتفصل العقلنة الأداتية عن ميل الفكر إلى إخضاع المختلف لقوالب الهوية والتماثل، فإذا كانت السيطرة على الطبيعة قد قامت على تحويلها إلى موضوع قابل للحساب، فإن المنطق نفسه يمكن أن يمتد إلى الإنسان، فيصبح الفرد قابلاً للتصنيف والقياس والاستبدال، وعند هذه النقطة لا يعود الاغتراب مجرد شعور نفسي أو نتيجة اجتماعية خارجية، بل يصبح أثرًا لطريقة في التفكير والعلاقة بالعالم: ذات لا ترى في الأشياء والآخرين إلا ما يمكن استخدامه، ثم تنتهي إلى معاملة نفسها بالمنطق ذاته، لذلك يتخذ الاغتراب في النظرية النقدية معنى يمس استقلال الذات وقدرتها على الاختلاف وتحديد غاياتها.⁽³⁾

تتبع راهنية هذه الإشكالية من أنها تتجاوز ظرف المجتمع الصناعي بمعناه التاريخي الضيق؛ فالقضية التي يثيرها مفهوم العقل الأداتي تتصل بكل وضع تصبح فيه الوسائل أكثر حضوراً من الغايات، ويُختزل الإنسان في الأداء والقابلية للقياس، أو تُعامل المعرفة باعتبارها قيمة بقدر ما تمنحه من تحكم، ومع ذلك لا يفترض البحث أن كل تنظيم أو تقنية صورة من صور الهيمنة، بل يميز بين الاستخدام العقلاني للأدوات وبين سيادة الأدوات بوصفها منطقاً يحدد قيمة الإنسان والعالم بقدر المنفعة، القيمة الفلسفية للمفهوم تكمن إذن في قدرته على استعادة السؤال عن الغاية والمعيار والحرية داخل عالم شديد التنظيم.

ينتظم البحث حول مسار فلسفي يبدأ بتحليل معنى العقل الأداتي والاعتراب، ثم يتتبع مفارقة التنوير وانقلاب العقل من وعد التحرر إلى منطق السيطرة، قبل الانتقال إلى نقد هوركهايمر وأدورنو لبنية العقل الحديث، وبعد ذلك يُقرأ اغتراب الإنسان بوصفه نتيجة لأزمة العقل لا مجرد أثر جانبي للتصنيع، وصولاً إلى مناقشة إمكان مقاومة هذا الاعتراب عبر العقل النقدي والجدل السلبي والدفاع عن الاختلاف، وبهذا يظل المجتمع الصناعي والتقنية والثقافة مجالات لاختبار الفكرة، بينما تبقى القضية المركزية هي علاقة العقل بالحرية والهيمنة وتكوين الذات.

أولاً: مشكلة البحث

تتحدد مشكلة البحث في مفارقة فلسفية مركزية: العقل الذي ارتبط في مشروع التنوير بتحرير الإنسان من الخرافة والوصاية أصبح، في تحليل هوركهايمر وأدورنو، قابلاً لأن ينقلب إلى عقل أداتي يقيس الأشياء والأفعال بقدرتها على تحقيق المنفعة والسيطرة، وهنا لا تعود الأزمة في وجود التقنية أو التنظيم الاجتماعي في ذاتهما، بل في معنى العقلانية التي تمنحهما المشروع، فإذا فقد العقل قدرته على مناقشة الغايات والقيم، واكتفى بحساب أكثر الوسائل فاعلية، أمكن أن تصبح الهيمنة نفسها عقلانية من حيث الشكل، وأن تتحول الذات من مصدر للغايات إلى موضوع للإدارة والقياس، ومن ثم تتمثل المشكلة في الكشف عن الكيفية التي ينتج بها هذا التحول في بنية العقل اغتراباً يمس علاقة الإنسان بذاته وبالأخر وبالطبيعة وبالمعنى، رغم استمرار خطاب الحرية والتقدم.

ترداد الإشكالية تعقيداً لأن الاعتراب لا يظهر دائماً في صورة قهر خارجي واضح، بل قد يتحقق عبر التكيف والرضا والاندماج في أنماط جاهزة من التفكير والحاجة والسلوك، فالذات قد تعتقد أنها تمارس اختيارها في اللحظة التي تكون فيها معايير الاختيار ذاتها قد تشكلت وفق منطق المنفعة والتماثل، لذلك لا يكفي وصف آثار الاعتراب الاجتماعية أو النفسية، بل يلزم الكشف عن الأساس الفلسفي الذي يجعل الإنسان يقبل تحويل ذاته والعالم إلى موضوعات قابلة للحساب والاستخدام، ولهذا يركز البحث على هوركهايمر وأدورنو بوصفهما قدما نقداً للعقلانية الحديثة يصل بين السيطرة على الطبيعة، والتشيؤ، وفقدان الاستقلال الذاتي، واغتراب الوعي.⁽⁴⁾

ثانياً: تساؤلات البحث

ينطلق البحث من التساؤل الرئيس الآتي:

كيف يؤدي اختزال العقل في صورته الأداتية إلى اغتراب الإنسان عن ذاته وحيثيته وعالمه في فكر ماكس هوركهايمر وتيودور أدورنو؟

ويتفرع عن هذا التساؤل الرئيس التساؤلات الآتية:

- 1- ما الدلالة الفلسفية للعقل الأداتي، وكيف يختلف عن العقل الموضوعي أو النقدي في تصور هوركهايمر وأدورنو؟
- 2- كيف تكشف جدلية التنوير عن إمكان انقلاب العقل من مشروع للتحرر إلى منطق للسيطرة والهيمنة؟
- 3- كيف يفسر هوركهايمر وأدورنو العلاقة بين العقل الأداتي والتشويش وفقدان استقلال الذات والقدرة على الاختلاف؟
- 4- ما صور اغتراب الإنسان الناتجة عن هيمنة العقل الأداتي، وما إمكانات مقاومة هذا الاغتراب داخل المشروع النقدي؟

ثالثاً: أهداف البحث

- 1- تحليل الدلالة الفلسفية لمفهوم العقل الأداتي وبيان علاقته بأزمة العقل الحديث عند هوركهايمر وأدورنو.
- 2- الكشف عن مفارقة التنوير التي تجعل العقل قادراً على إنتاج الهيمنة في الوقت الذي يعلن فيه مشروع التحرر.
- 3- تفسير الصلة بين العقل الأداتي والتشويش والتماثل وفقدان الاستقلال الذاتي، بوصفها مداخل لفهم اغتراب الإنسان.
- 4- تقييم إمكانات العقل النقدي والجدل السلبي والدفاع عن الاختلاف في مقاومة الاغتراب واستعادة البعد الإنساني للعقل.

رابعاً: أهمية البحث

تتبع الأهمية النظرية للبحث من أنه يعالج العقل الأداتي والاغتراب بوصفهما وجهين لإشكالية فلسفية واحدة تتعلق بمصير العقل والذات في الحداثة، فكثير من القراءات تفصل بين نقد العقل بوصفه مسألة معرفية وبين الاغتراب بوصفه ظاهرة اجتماعية، بينما تكشف نصوص هوركهايمر وأدورنو أن فقدان العقل لقدرته على مساءلة الغايات ينعكس مباشرة على تصور الإنسان لنفسه وللعالم، فحين تصبح العقلانية مساوية للحساب والمنفعة، يغدو الإنسان ذاته قابلاً لأن يُفهم بوصفه وسيلة أو وظيفة، ويظهر التشويش بوصفه نتيجة منطقية لتحول في معيار العقلانية لا مجرد خلل عارض في المجتمع الحديث.⁽⁵⁾

وتتجلى الأهمية الفكرية في إعادة طرح سؤال الحرية داخل عالم يتسع فيه التنظيم والقياس والقدرة التقنية، فزيادة قدرة الإنسان على الفعل لا تساوي بالضرورة زيادة قدرته على تحديد معنى فعله وغايته؛ وقد يمتلك الفرد خيارات كثيرة بينما تظل بنية الاختيار نفسها خاضعة لمعايير لم يشارك في تكوينها، لذلك يتيح نقد العقل الأداتي التمييز بين التقدم بوصفه توسعاً في الوسائل والتقدم بوصفه تعميقاً للاستقلال والكرامة والقدرة النقدية، والبحث، بهذا المعنى، لا يتخذ موقفاً مناهضاً للعقل أو التقنية، بل يدافع عن مفهوم أوسع للعقل يحاسب الوسائل والغايات معاً.

خامساً: منهج البحث وحدوده

يعتمد البحث المنهج التحليلي النقدي، لأنه الأنسب لتفكيك مفاهيم العقل والحرية والهيمنة والاغتراب في نصوص هوركهايمر وأدورنو، والكشف عن العلاقات الداخلية بين حججهما ومفاهيمهما، كما يستفيد من المنهج التاريخي في حدود ما يخدم تتبع انتقال مفهوم العقل من وعد التنوير بالتحرر إلى نقد العقلانية الأداتية، ومن المقارنة المفهومية بين العقل الموضوعي والعقل الذاتي، وبين التفكير الهوياتي والجدل السلبي، ولا يستهدف

البحث تقديم تاريخ شامل لمدرسة فرانكفورت، بل بناء قراءة تركز على الإشكالية الفلسفية للعقل وعلاقتها بتكوين الذات واغترابها، مع الاستعانة بماركيوز وفروم وهابرماس بقدر ما يوضح مواضع الاتفاق أو النقد.⁽⁶⁾ تتمثل الحدود الموضوعية في تحليل العلاقة بين العقل الأداتي واغتراب الإنسان من زاوية فلسفية، مع تناول المجتمع الصناعي والتقنية والبيروقراطية والاستهلاك والثقافة بوصفها مجالات يظهر فيها منطق الأداتية، لا بوصفها موضوعات مستقلة، وتتنحصر الحدود الفكرية أساساً في أعمال هوركهايمر وأدورنو، ولا سيما «جدل التنوير» وكتابات هوركهايمر في نقد العقل والنظرية النقدية، وكتابات أدورنو في الجدل السلبي والهوية والجماليات، ويُقصد بالعقل الأداتي إجراءً نمط عقلنة يفصل كفاءة الوسيلة عن مساءلة الغاية، بينما يُفهم الاغتراب بوصفه فقدان الذات لقدرتها على أن تكون مصدرًا وإعياً لغاياتها وعلاقاتها، وتحولها إلى موضوع داخل منطق خارجي للقياس والاستعمال.

سادساً: الدراسات السابقة والأعمال العلمية ذات الصلة

دراسة كمال بومنيير (2016)

تناولت هذه الدراسة النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى أكسل هونيث، وعرضت نشأة المدرسة ومفاهيم النقد والعقل والحادثة والتحرر، وتقيد البحث الحالي في تأكيد أن نقد العقل الأداتي يقع في صميم مشروع الجيل الأول، غير أن البحث الراهن يضيق مجال التحليل لجعل السؤال عن مصير العقل والذات والحرية محوراً مباشراً، ويربط بين اختزال العقل في الأداتية وبين تشكل الاغتراب عند هوركهايمر وأدورنو.⁽⁷⁾

دراسة محمد نور الدين أفاية (1998)

حلل أفاية في كتابه «الحدثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة» أزمة الحدثة والعقل عند مدرسة فرانكفورت، ثم عرض محاولة هابرماس إعادة بناء العقلانية على أساس التواصل، وتقيد هذه الدراسة في إبراز أن نقد العقل الأداتي لا يعني التخلي عن العقل، بل يثير الحاجة إلى إعادة تحديد شروط العقلانية ذاتها، ويختلف البحث الحالي عنها في تركيزه على الجيل الأول، وعلى الكيفية التي يصبح بها اختزال العقل في السيطرة أساساً لاغتراب الذات قبل الانتقال إلى مشاريع إعادة بناء العقلانية.⁽⁸⁾

دراسة ثريا بن مسمية (2020)

قدمت الدراسة عرضاً لنشأة مدرسة فرانكفورت وتطورها، وربطت تشكل النظرية النقدية بالسياقات السياسية والاجتماعية التي شهدت الفاشية وأزمة الرأسمالية، وتقيد البحث الحالي في توضيح الخلفية التي دفعت الجيل الأول إلى الشك في التطابق البسيط بين العقل والتقدم، بينما يتجه البحث الراهن إلى المستوى الفلسفي لهذه الأزمة، أي إلى تحليل الكيفية التي يتحول بها مفهوم العقل ذاته من أفق للتحرر إلى منطق للهيمنة.⁽⁹⁾

دراسة عبير سهام المهدي (2016)

ناقشت الدراسة الفكر السياسي لمدرسة فرانكفورت النقدية وركزت على السلطة والهيمنة والبنى السياسية الحديثة، وتقيد في بيان اتساع مفهوم السيطرة لدى رواد المدرسة، إلا أن البحث الحالي يعيد هذه السيطرة إلى سؤال أسبق: ما نمط العقلانية الذي يجعل الهيمنة قابلة للتقديم في صورة تنظيم وضرورة وكفاءة؟ ومن ثم يركز على البنية العقلية والمفهومية للسيطرة وعلاقتها باغتراب الذات.⁽¹⁰⁾

دراسة علاء حميد رشيد (2023)

تناولت الدراسة النقد الفلسفي من منظور ماكس هوركهايمر، وأبرزت انتقاله من نقد المعرفة المعزول إلى نقد المجتمع والحدثة والعقلانية، وتلتقي مباشرة مع البحث الحالي في الاهتمام ببنية العقل الحديث، إلا أن

البحث الزاهن يضيف أدورنو بوصفه طرفاً أساسياً في تحليل الهوية والتماثل والتشويش، ويجعل اغتراب الإنسان نتيجة مركزية لأزمة العقل لا مجرد مظهر اجتماعي ملازم لها.⁽¹¹⁾

دراسة رمضان البسطاويسي

تناولت الدراسة الأسس الفلسفية لنظرية أدورنو الجمالية، وأظهرت ارتباط الفن بنقد الهوية والتشويش والمصالحة الزائفة، وتفيد البحث الحالي في بيان أن مقاومة الأدوات لا تتحقق بإلغاء العقل، بل بحفظ ما لا يختزل في المنفعة والهوية الجاهزة، ويستفيد البحث من هذا البعد في مناقشة الفن والجدل السلبي بوصفهما إمكانين للحفاظ على الاختلاف والمسافة النقدية في مواجهة هيمنة العقل الأداتي.⁽¹²⁾

تعقيب على الدراسات السابقة

تكشف الدراسات السابقة عن اهتمام واسع بمدرسة فرانكفورت من زوايا تاريخية وسياسية وجمالية واجتماعية، إلا أن الحاجة تظل قائمة إلى قراءة تجمع هذه المسارات داخل إشكالية فلسفية واحدة: كيف يؤدي تحول العقل من مساءلة الغايات إلى حساب الوسائل إلى إعادة تشكيل الإنسان ذاته؟ تتمثل إضافة البحث في بناء علاقة تفسيرية بين أزمة العقل وأزمة الذات؛ فالتشويش والامتثال وصناعة الحاجات واغتراب الوعي لا تُعرض بوصفها ظواهر متفرقة، بل بوصفها صوراً مختلفة لمنطق واحد يختزل الكيفيات والمعاني في القابلية للقياس والاستخدام، كما يميز البحث بين العقلانية التقنية المشروعة وبين تحول الأدوات إلى معيار شامل يحدد قيمة الإنسان والعالم.

سابعاً: خطة البحث وتقسيماته

بعد المقدمات المنهجية، ينقسم البحث إلى خمسة مباحث مترابطة: يتناول المبحث الأول تأصيل مفهومي العقل الأداتي والاغتراب وعلاقتها بأزمة الذات والحرية؛ ويبحث المبحث الثاني جدل التنوير وانقلاب العقل من مشروع للتحرر إلى منطق للسيطرة؛ ويخصص المبحث الثالث لنقد العقل الأداتي في فكر هوركهايمر وأدورنو؛ ويحلل المبحث الرابع اغتراب الإنسان بوصفه نتيجة لأزمة العقل، من خلال التشويش والامتثال وصناعة الحاجات واغتراب الوعي؛ ثم يناقش المبحث الخامس إمكان التحرر وحدود المشروع النقدي، ولا سيما العقل النقدي والجدل السلبي والفن والدفاع عن الاختلاف.

المبحث الأول: العقل والاغتراب: تأصيل المفاهيم والإشكالية

1- العقل بين الوظيفة المعيارية والاختزال الأداتي

لم يكن العقل في الفلسفة الغربية مفهوماً واحداً أو وظيفة ثابتة؛ فقد دل في تقاليد متعددة على القدرة على البرهنة، وعلى اكتشاف النظام والمعنى، وعلى التمييز بين ما هو قائم وما ينبغي أن يكون، ويستعيد هوركهايمر هذا التعدد حين يميز بين عقل موضوعي أو معياري يرى أن الغايات والقيم نفسها قابلة للمناقشة العقلية، وبين عقل ذاتي يقيس عقلانية الفعل بملاءمة الوسائل للمصلحة أو الهدف، ومع توسع النزعة الوضعية والتنظيم الحديث تراجع البعد الأول لمصلحة عقل يثبت كفاءته بالحساب والتنبؤ والقدرة على التحكم، وهنا يصبح السؤال الفلسفي متعلقاً بما فقدته العقل عندما ازداد نجاحه التقني: هل ظل قادراً على الحكم على الغاية، أم تحول إلى مجرد جهاز لخدمتها؟⁽¹³⁾

العقل الأداتي، بهذا المعنى، ليس غائباً للعقل ولا نقصاً في الذكاء، بل صورة مكتملة من العقلنة قد تبلغ درجة عالية من الدقة والتنظيم بينما تظل صامتة تجاه قيمة الهدف الذي تخدمه، فهو يسأل عن أكثر الطرق

فاعلية، ولا يجعل من مهمته السؤال عما إذا كانت الغاية عادلة أو إنسانية أو جديرة بالاتباع، وتظهر خطورته حين تُحدد الغايات من السوق أو المؤسسة أو السلطة ثم يُطلب من العقل أن يحققها بأقل تكلفة وأعلى كفاءة؛ عندئذ تتحول العقلانية من قدرة على الحكم إلى قدرة على التكيف، ويصبح النجاح الإجرائي قادرًا على إخفاء فقر معياري عميق.⁽¹⁴⁾

ترى الباحثة أن الأهمية الفلسفية للمفهوم تكمن في أنه يفصل بين «امتلاك الوسيلة» و«مشروعية الغاية»، فالتقدم في القدرة على الفعل لا يجب بمفرده عن السؤال: لماذا نفعل؟ ولأجل من؟ وما الصورة الإنسانية التي ينتجها هذا الفعل؟ ومن ثم فإن أزمة العقل الأداتي ليست أزمة معرفة بقدر ما هي أزمة معيار؛ إذ يمكن للإنسان أن يعرف كيف يسيطر على الأشياء بدقة، ثم يفقد في الوقت نفسه القدرة على تحديد ما إذا كانت هذه السيطرة جديرة بأن تكون غاية، عند هذه اللحظة يبدأ العقل في التحول من شرط للتحرر إلى آلية لإدارة الموجود، بما في ذلك الذات نفسها.

2- الاغتراب: من فقدان الذات إلى التشيؤ

يحمل مفهوم الاغتراب تاريخًا فلسفيًا ممتدًا من هيجل وماركس إلى الفلسفات الاجتماعية والوجودية اللاحقة، ولا يقتصر معناه على شعور الفرد بالغربة، بل يدل على انقسام في علاقة الإنسان بما يفترض أن يعبر عن ذاته: عمله، نتاجه، علاقاته، قيمه، أو صورته عن نفسه، وفي النظرية النقدية يتسع المفهوم ليصبح سؤالًا عن الكيفية التي يمكن أن تتحول بها منتجات الإنسان ومؤسساته وأنماط عقلنته إلى قوى مستقلة تواجهه وتحدد له ما ينبغي أن يرغب فيه وكيف يقيس نجاحه، وبذلك يصبح الاغتراب مشكلة في علاقة الذات بذاتها بقدر ما هو مشكلة في علاقتها بالمجتمع.⁽¹⁵⁾

يتقاطع الاغتراب عند هوركهايمر وأدورنو مع مفهوم التشيؤ؛ فحين يسود منطق القياس والتبادل، تُختزل الكيفيات النوعية في وحدات قابلة للمقارنة، ويغدو الفرد وظيفة أو رقمًا أو مستهلكًا أو نمطًا سلوكيًا، والخطورة هنا أن التشيؤ لا يظل طريقة خارجية تنظر بها المؤسسة إلى الإنسان، بل يمكن أن يصبح الطريقة التي ينظر بها الإنسان إلى نفسه، فيقيس قيمته بمعايير الأداء والنجاح والقبول، لذلك لا يشترط الاغتراب شعورًا دائمًا بالتعاسة؛ فقد يكون الفرد متكيفًا وراضيًا، بينما تكون شروط هذا الرضا قد صيغت خارج قدرته على النقد والاختيار.⁽¹⁶⁾

تتضح الصلة بين العقل الأداتي والاغتراب عندما يُفهم الاغتراب بوصفه فقدان الذات لموقعها كغاية ومصدر للمعنى، فالعقل الذي لا يرى في الموجود إلا ما يمكن استخدامه يميل إلى تحويل الطبيعة إلى مورد، والآخر إلى وظيفة، والعمل إلى أداء، ثم يعيد تعريف الذات بالمقياس نفسه، لذلك لا يكون العقل الأداتي سببًا خارجيًا منفصلًا عن الاغتراب، بل يمثل الشكل العقلي الذي يمنح التشيؤ منطقًا ومشروعيتَهُ، ومن هنا يصبح نقد الاغتراب نقدًا للطريقة التي يتصور بها العقل ذاته وعلاقته بالعالم.

3- العقل الأداتي وأزمة الذات والحرية

تظهر أزمة الذات حين تُعرّف الحرية باعتبارها مجرد القدرة على الاختيار بين بدائل جاهزة، من دون السؤال عن مصدر هذه البدائل أو عن المعايير التي تجعلها مرغوبة، فالمجتمع الحديث يمنح الفرد قدرًا واسعًا من الحركة والاستهلاك والاختيار، لكنه يستطيع في الوقت نفسه أن يصوغ الحاجات ومعايير النجاح والصور المقبولة للحياة، وهنا تصبح الحرية مسألة أعمق من غياب الإكراه المباشر؛ إنها قدرة الذات على أن تفحص ما

يُعرض عليها، وأن تميز بين حاجة تبني استقلالها وحاجة تعيد إنتاج تبعيتها، وقد أبرز ماركيز وفروم هذه المفارقة حين ربطا بين الوفرة والاندماج من جهة، وبين تقلص المسافة النقدية من جهة أخرى.⁽¹⁷⁾ ومن هذه الزاوية لا يُفهم الاغتراب على أنه نقيض بسيط للاندماج الاجتماعي؛ فقد يكون الاندماج نفسه صورة من صوره إذا قام على التكيف الكامل مع معايير لم تختبرها الذات ولم تعد قادرة على مساءلتها، فالسيطرة الحديثة تبلغ أقصى فاعليتها عندما تتحول من أمر خارجي إلى معيار داخلي يقيس الفرد به نفسه ورغباته، ولذلك تصبح الحرية عند النظرية النقدية مرتبطة بقدرة الذات على مقاومة التماثل، والاحتفاظ بمسافة من الواقع، وعدم التسليم بأن الموجود هو الإمكان الوحيد للحياة.⁽¹⁸⁾

المبحث الثاني: جدل التنوير وانقلاب العقل على مشروع التحرر

1- التنوير ومفارقة التحرر

انطلق التنوير من مطلب تحرير الإنسان من الخوف والخرافة والوصاية، وجعل العقل أساساً للحكم والمعرفة، ولا تنكر النظرية النقدية هذا البعد التحرري، لكنها تتساءل عن التحول الذي أصاب معنى العقل حين أصبحت السيطرة على الطبيعة النموذج الأبرز لنجاح المعرفة، فكلما صار المجهول قابلاً للحساب والتصنيف زادت قدرة الإنسان على التحكم فيه، غير أن هذا النجاح حمل إمكان تعميم منطق السيطرة ليصبح طريقة عامة في العلاقة بالعالم، عندئذ لا يعود العقل مطالباً بفهم ما هو مختلف عنه بقدر ما يصبح مطالباً بإخضاعه لقانون يمكن التنبؤ به والتحكم فيه.⁽¹⁹⁾

في «جدل التنوير» لا يعامل هوركهايمر وأدورنو الأسطورة والتنوير باعتبارهما نقيضين منفصلين بصورة مطلقة؛ فالتنوير الذي أراد إزالة الأسطورة قد يتحول إلى أسطورة جديدة عندما يجعل الحساب والسيطرة معيارين وحيدين للحقيقة، وتتمثل المفارقة في أن الذات التي تحررت من خوف الطبيعة عبر إخضاعها تضطر في المقابل إلى قمع جانب من طبيعتها الداخلية، وتنظيم رغباتها وفق مقتضيات البقاء والسيطرة، وهكذا يرتبط تشكل الذات الحديثة بتاريخ من الضبط والتضحية، بما يجعل التحرر نفسه حاملاً لإمكان نقيضه.⁽²⁰⁾ لا ينبغي فهم هذا النقد بوصفه حنيئاً إلى ما قبل التنوير أو إنكاراً لمكاسب العقل الحديث، بل بوصفه مطالبة للتنوير بأن يطبق مبدأ النقد على ذاته، فالعقل يفقد طاقته التحررية عندما يتحول التقدم إلى عقيدة لا تُسأل عن ثمنها الإنساني، وعندما يصبح النجاح في السيطرة مبرراً كافياً للفعل، لذلك تكمن المفارقة الفلسفية في أن العقل لا يحافظ على وعده بالتحرر إلا إذا احتفظ بقدرته على نقد صور العقلنة التي ينتجها هو نفسه.

2- السيطرة على الطبيعة وتشقُّق العلاقة بالعالم

منحت المعرفة العلمية الإنسان قدرة غير مسبوقة على القياس والتنبؤ والتدخل في الطبيعة، غير أن السؤال الذي تطرحه النظرية النقدية لا يتعلق بهذه القدرة في ذاتها، بل بالصورة التي تتخذها علاقة الذات بموضوعها، فعندما لا تُرى الطبيعة إلا بوصفها مادة خام قابلة للاستخدام، تفقد الأشياء قيمتها النوعية ويصبح معنى المعرفة مساوياً لما تنتجه من تحكم، ثم يمتد المنطق نفسه إلى الإنسان: يقاس الوقت والحركة والجسد والسلوك، وتصبح الذات موضوعاً للإدارة كما أصبحت الطبيعة موضوعاً للسيطرة.⁽²¹⁾

لهذا يميز البحث بين المعرفة التطبيقية المشروعة وبين الأداتية بوصفها تصوراً شاملاً للعقل، فالمشكلة لا تبدأ حين يستخدم الإنسان الأدوات، بل حين تصبح القابلية للاستخدام معيار القيمة الوحيد، وعندئذ لا يعود السؤال: ما حقيقة الشيء أو ما معناه في شبكة العلاقات الإنسانية والطبيعية؟ بل: ماذا يمكن أن نفعل به؟

ويكشف هذا التحول أن الهيمنة ليست مجرد ممارسة سياسية أو اقتصادية، بل يمكن أن تتأسس في نمط من المعرفة يساوي بين الفهم والقدرة على التحكم.⁽²²⁾

3- الوضعية وتراجع السؤال عن الغاية والقيمة

وجد العقل الأداتي تعبيرًا واضحًا في النزعات التي تقصر العقلانية على ما يمكن قياسه والتحقق منه وإدارته بكفاءة، وتكشف البيروقراطية والتنظيم الرأسمالي عن الوجه المؤسسي لهذا المنطق، غير أن القضية الفلسفية الأعمق تتمثل في تراجع السؤال عن الغايات أمام السؤال عن الوسائل، فعندما تصبح القاعدة أهم من التجربة، والمؤشر أهم من المعنى، والوظيفة أهم من الشخص، يبدو النظام عقلانيًا بسبب انتظامه حتى لو كانت نتائجه الإنسانية محل اعتراض، وهكذا يصبح الشكل المنظم قادرًا على منح الهيمنة مظهر الحياد والضرورة.⁽²³⁾ يتصل نقد هوركهايمر وأدورنو للوضعية بهذا المستوى؛ فهي، في نظرهما، تضعف وظيفة العقل النقدية عندما تفصل الوقائع عن القيم وتجعل الحديث عما ينبغي أن يكون خارج مجال المعرفة العقلية، وإذا أصبح الواقع القائم هو المصدر الوحيد للمعايير، فقد الفكر قدرته على تجاوز الموجود وتصوّر إمكان آخر، عندئذ يتراجع العقل من قوة للحكم والنفي إلى أداة للتنسيق والتكيف، ويصبح السؤال عن الفاعلية أكثر حضورًا من السؤال عن العدالة والحرية.⁽²⁴⁾

لا يعني ذلك ردّ العقل الأداتي إلى عامل واحد كالاقتصاد أو البيروقراطية أو الوضعية، بل فهم علاقة جدلية بين صورة من العقل ومؤسسات تعززها، فالمؤسسات الحديثة تحتاج إلى الحساب والانضباط، لكنها في الوقت نفسه تعيد تكوين الأفراد وفق معايير الأداء والملاءمة، ومن هنا تصبح الأدوات بنية في الوعي بقدر ما هي بنية في التنظيم، ويغدو نقدها مشروعًا فلسفيًا واجتماعيًا في آن واحد، لأنه يستهدف المعيار الذي يحدد ما يُعد عقلانيًا ومقبولًا.

المبحث الثالث: نقد العقل الأداتي في فكر هوركهايمر وأدورنو

1- هوركهايمر: أزمة العقل من الموضوعية إلى الذاتية

يميز هوركهايمر بين عقل موضوعي يفترض أن الواقع والغايات يمكن أن يكونا موضوعًا للحكم العقلي، وبين عقل ذاتي أو أداتي يركز على قدرة الذات على اختيار أنسب الوسائل لمصالحها، ولا يعني العقل الموضوعي بالضرورة نسقًا ميتافيزيقيًا مغلقًا، بل يشير إلى حق العقل في مناقشة الخير والعدالة والحرية والمعنى، أما العقل الذاتي فيتعامل مع هذه الغايات باعتبارها تفضيلات خاصة تقع خارج مجال البرهنة، وبذلك يتحول العقل إلى أداة محايدة يمكن أن توظف في خدمة أي غاية تُعطى له من الخارج.⁽²⁵⁾

حين يهيمن العقل الذاتي تصبح العقلانية مساوية للملاءمة والنجاح الإجرائي: يكون الفعل عقلانيًا لأنه يحقق الهدف بأعلى كفاءة، لا لأن الهدف نفسه خضع للنقد، وهنا يفتح هوركهايمر المجال لمفارقة فلسفية مهمة، إذ يمكن لأهداف قمعية أن تُخدم بوسائل شديدة التنظيم والدقة؛ فالعقلاني لا يظهر دائمًا في صورة فوضى، بل قد يتجسد داخل نظام بالغ العقلنة، ولهذا يصبح نقد العقل الأداتي دفاعًا عن العقل ضد اختزاله، لا دعوة إلى التخلي عنه.⁽²⁶⁾

ترتبط هذه الفكرة بمقالة هوركهايمر عن «النظرية التقليدية والنظرية النقدية»، فالنظرية التقليدية تميل إلى تصور المعرفة نشاطًا محايدًا يمكن فصله عن الشروط الاجتماعية التي تنتجها، بينما تصر النظرية النقدية على مساءلة موقع المعرفة ووظيفتها والمصالح التي قد تخدمها، وبذلك تستعيد عملية التفكير بعدها الانعكاسي:

لا يكفي العقل بتنظيم الواقع، بل يسأل أيضًا عن الشروط التي جعلت هذا الواقع يبدو طبيعيًا وعن إمكان تغييره.⁽²⁷⁾

تكمن أهمية هوركهايمر، من وجهة نظر الباحثة، في أنه يجعل أزمة الأدوات أزمة في مفهوم العقل لا مجرد خطأ أخلاقي يرتكبه الأفراد، فالذات لا تختار المنفعة في فراغ، بل تتكون داخل عالم يكافئ السلوك القابل للحساب والتكيف، ولذلك لا يكفي تجاوز الأدوات عبر الدعوة إلى نوايا حسنة، بل يتطلب استعادة وظيفة العقل في الحكم على الغايات وفي كشف الروابط بين المعرفة والقوة والمصلحة.

2- أدورنو: نقد الهوية والتماثل والتشويؤ

يربط أدورنو نقد العقل الأداتي بنقد تفكير الهوية؛ أي ميل الفكر إلى افتراض أن المفهوم يطابق موضوعه تمامًا، فالمفهوم ضروري للفهم، لكنه يتحول إلى أداة عنف حين يحو ما في الشيء من اختلاف ولا تطابق، ويجبر المتعدد على الدخول في فئة واحدة، ويرى أدورنو أن المجتمع الحديث يعيد إنتاج المنطق نفسه عندما يحول الأشخاص والمنتجات والخبرات إلى وحدات قابلة للتبادل والتصنيف، فتغدو الخصوصية عقبة أمام الإدارة والسوق، ويصبح التماثل شرطًا للاندماج.⁽²⁸⁾

من هنا يكتسب «الجدل السلبي» معناه؛ فهو لا يرفض المفاهيم، بل يرفض ادعاءها الإحاطة الكاملة بالموضوع، ووظيفته إبقاء التوتر بين الشيء وصورته المفاهيمية، وكشف ما تستبعده الهوية من اختلاف وتناقض، وتتصل هذه الفكرة مباشرة بالاغتراب؛ فالذات المغتربة هي التي تُختزل في هوية مفروضة عليها: عامل، مستهلك، وظيفة، رقم أو نمط سلوكي، ثم تنسى أن وجودها يتجاوز هذه التعريفات، لذلك يصبح الدفاع عن اللاهوية دفاعًا عن إمكان أن تكون الذات أكثر من الدور الذي يحدده النظام.⁽²⁹⁾

ويمنح أدورنو الفن أهمية خاصة لأنه يستطيع، في أفضل حالاته، أن يحفظ تجربة لا تستنفدها المنفعة المباشرة، فالعمل الفني لا يبرر وجوده بمقدار ما ينتج أو يحقق من فائدة، بل يفتح مسافة بين الواقع وما يمكن أن يكون، ويحافظ على التوتر بدل المصالحة السهلة، ولا يمثل الفن خلاصًا سياسيًا مباشرًا، لكنه يدافع رمزيًا عن حق المختلف وغير القابل للاختزال في البقاء، وهو الحق نفسه الذي يهدده منطق العقل الأداتي والهوية.⁽³⁰⁾

3- جدل التنوير: العقل حين ينقلب على وعده

يمثل «جدل التنوير» نقطة الالتقاء الأكثر وضوحًا بين هوركهايمر وأدورنو في تشخيص أزمة العقل، فالكتاب لا يكفي بتسجيل آثار الحداثة، بل يحاول تفسير كيف يمكن لمشروع تأسس على التحرر من الخوف أن ينتج أشكالًا جديدة من الخضوع، ويستحضر المؤلفان أوديسيوس للكشف عن أن بناء الذات الغربية ارتبط بتعلم السيطرة على الطبيعة الخارجية والداخلية معًا؛ فالذات تحقق بقاءها عبر الضبط والتأجيل والتضحية، لكنها قد تدفع ثمن ذلك في صورة علاقة قاسية برغباتها وبالعالم.⁽³¹⁾

عندما يتعمم هذا المنطق تصبح السيطرة قيمة ضمنية لا تحتاج إلى دفاع مستقل: تُقاس الطبيعة بما يمكن استخراجها منها، والمعرفة بما يمكن توظيفه فيه، والإنسان بما يقدر على إنتاجه أو استهلاكه، وهنا يصبح نجاح التحكم علامة على العقلانية نفسها، وتتحول الغاية الإنسانية إلى مسألة ثانوية، لذلك يحتاج التنوير، في منطق الكتاب، إلى تنوير ذاته؛ أي إلى ممارسة النقد على نزوعه إلى مساواة العقل بالسيطرة.⁽³²⁾

عند هذه النقطة تتضح الصلة العميقة بين العقل الأداتي والاغتراب: فالذات التي تبني قوتها على إخضاع كل ما هو آخر عنها تفقد في الوقت نفسه القدرة على إقامة علاقة غير أداتية بهذا الآخر، وكلما توسعت السيطرة الخارجية ازداد خطر أن تُعاد صياغة الذات ذاتها وفق منطق الضبط والوظيفة، ومن ثم لا

تساوي زيادة القدرة زيادة الحرية بالضرورة؛ فقد تكون الذات أكثر قوة تجاه العالم وأقل قدرة على تحديد معنى وجودها وغاياتها.

المبحث الرابع: اغتراب الإنسان بوصفه نتيجة لأزمة العقل

1- الذات بين الاستقلال والتكيف

يكشف نقد العقل الأداة أن المشكلة لا تبدأ من التقنية ذاتها، بل من الصورة التي تعرّف بها الذات نفسها داخل عالم منظم وفق الكفاءة والقياس، فحين يتعلم الفرد أن يقيس قيمته بمقدار أدائه وقدرته على التكيف، تتحول الوسائل التي كان يفترض أن تخدمه إلى معايير للحكم عليه، وتظهر التقنية والإنتاج هنا بوصفهما مثالين على مشكلة أعمق: فقدان الذات مشاركتها في تحديد الغاية، بحيث يصبح دورها تنفيذ ما تقررره منظومة لا ترى منها إلا قابليتها للأداء، عندئذ يتحول النجاح الخارجي إلى إمكان للاغتراب إذا لم يصاحبه استقلال في تحديد المعنى والغاية.⁽³³⁾

لا يقتصر هذا التحول على مكان العمل؛ إذ يمكن لمنطق الأداء أن يمتد إلى المعرفة والتعليم والوقت والعلاقات، فيتعامل الفرد مع ذاته كمشروع دائم للقياس والتحسين، ويصبح السؤال عن القيمة مرهوناً بما يمكن إظهاره في صورة نتيجة أو مؤشر، وهنا تتخذ الأدوات شكلاً داخلياً: لا يحتاج النظام إلى فرض منطقته بالقوة ما دام الفرد قد تبناه معياراً لتقويم نفسه، وتكشف هذه النقطة أن الاغتراب الحديث قد يقع في قلب الإحساس بالنجاح، لأن الذات تحقق المعايير السائدة من دون أن تسأل إن كانت تعبر عن غايات اختارتها فعلاً.

يقتضي التحليل الفلسفي التمييز بين الانضباط الضروري لأي فعل منظم وبين فقدان الاستقلال الذاتي، فالمعيار أو القاعدة لا ينتجان الاغتراب تلقائياً، وإنما يبدأ الاغتراب حين يُختزل الشخص فيهما وتُلغى قدرته على فهم الغاية ومناقشتها والمشاركة في تكوينها، ومن ثم يمكن اتخاذ المشاركة في تحديد الغايات معياراً نقدياً: كلما بقي الإنسان مجرد منفذ لما تقررره بنية خارجية ازداد الطابع الأداة للعلاقة، وكلما احتفظ بحق الفهم والنقد والتقرير اقترب التنظيم من خدمة الحرية بدل ابتلاعها.

2- التشيؤ وتحول الإنسان إلى موضوع

يبلغ العقل الأداة أثره الأعمق عندما يتحول الإنسان من ذات قادرة على الحكم إلى موضوع للقياس والإدارة، ففي البنى التنظيمية الكبيرة تتجزأ المسؤولية وتوزع الأدوار، وقد يؤدي كل فرد وظيفة محددة من دون أن يرى المعنى الكلي للفعل أو نتائجه، عندئذ يمكن أن يحل «تنفيذ الإجراء» محل الحكم الأخلاقي، وأن تصبح طاعة القاعدة مبرراً كافياً للسلوك، التشيؤ هنا لا يعني فقط معاملة الإنسان كشيء من الخارج، بل تعطيل قدرته على أن يرى نفسه فاعلاً مسؤولاً عن الغاية والنتيجة.⁽³⁴⁾

تظهر الصلة بالعقل الأداة عندما تُعرض القرارات القيمة في لغة تقنية محايدة: تكلفة، كفاءة، ضرورة، إجراء، مؤشر، فهذه المفردات قد تكون مشروعة في ذاتها، لكنها تتحول إلى أدوات إخفاء إذا منعت السؤال عن يحدد الغاية ومن يتحمل نتائجها، لذلك فإن مقاومة التشيؤ لا تتطلب إلغاء التنظيم، بل إعادة فتح ما يبدو تقنياً على النقاش القيمي، بحيث يظل الإنسان حاضراً بوصفه غاية وفاعلاً في الحكم، لا مجرد موضوع داخل جهاز.

3- الحرية وصناعة الحاجات

تتخذ أزمة الحرية شكلاً خاصاً عندما لا تفرض الحاجات على الفرد من الخارج بصورة مباشرة، بل تتكون داخله بوصفها رغبات تبدو شخصية، فقد لاحظ مفكرو النظرية النقدية أن المجتمع المتقدم لا يكفي بإنتاج السلع، بل ينتج أيضاً الصور والمعايير التي تجعلها مرغوبة وضرورية، وإذا عرّف الإنسان نفسه بما يقتنيه وبالمكانة التي تمنحها له الأشياء، أصبحت هويته معلقة بدورة لا تنتهي من الاستبدال، وانتقل مركز تحديد الذات من القدرة على اختيار الغايات إلى الاستجابة لحاجات يعاد إنتاجها باستمرار.⁽³⁵⁾

لهذا لا تكفي كثرة البدائل لإثبات الحرية؛ فقد يختار الفرد بين منتجات كثيرة بينما لا يختار الإطار الذي يجعل امتلاكها شرطاً للنجاح والسعادة، ويتجه نقد العقل الأداتي هنا إلى التمييز بين الاختيار بوصفه حركة داخل نظام جاهز، والاستقلال بوصفه قدرة على مساءلة الحاجة ذاتها، ولا يعني ذلك أن كل استهلاك زائف، بل إن المعيار الفلسفي هو مقدار ما تسمح به الرغبة من نمو واستقلال، أو مقدار ما تجعل الذات تابعة لمنطق لا تستطيع أن تتخذ منه مسافة نقدية.⁽³⁶⁾

4- اغتراب الوعي والصناعة الثقافية

توضح الصناعة الثقافية كيف يمكن أن يمتد العقل الأداتي إلى مجال الوعي، فالثقافة التي يمكن أن توسع الخيال وتزعزع المألوف قد تخضع لمنطق التكرار والتسويق، بحيث تُنتج الأعمال وفق صيغ مضمونة وقابلة للاستهلاك، وفي هذه الحالة لا تُلغى المتعة، بل يمكن أن تصبح المتعة نفسها جزءاً من التكيف، حين تمنح الفرد راحة مؤقتة من شروط حياته ثم تعيده إليها من دون أن تتولد لديه مسافة نقدية تجاهها.⁽³⁷⁾

يظهر الاغتراب هنا عندما يتلقى الوعي صوراً جاهزة للنجاح والسعادة والجمال والحياة الطبيعية، فيضعف إمكان تصور البديل، ومع التكرار يغدو المألوف ضرورياً، ويكتسب الواقع القائم طابعاً طبيعياً لا تاريخياً، ولذلك تكون السيطرة على الوعي أكثر تعقيداً من المنع المباشر؛ فهي قد تتحقق عبر وفرة من المحتوى والاختيارات التي تشغل الانتباه، بينما تظل الحدود العامة لما يمكن تخيله وتقييمه شديدة الضيق.⁽³⁸⁾

ترى الباحثة أن هذا التحليل يحتاج إلى تجنب تصور الجمهور كتلة سلبية بصورة مطلقة، فالثقافة قد تنتج أيضاً نقداً ومقاومة واختلافاً، غير أن قوة مفهوم الصناعة الثقافية تظل قائمة عندما يستخدم للكشف عن التوتر بين الثقافة بوصفها مجالاً للمعنى وبين تحويلها إلى سلعة محسوبة وفق الطلب والانتشار، والسؤال الفلسفي ليس ما إذا كانت الثقافة جماهيرية أو نخبوية، بل ما إذا كانت تتيح للوعي أن يخرج من التماثل ويرى الواقع على نحو آخر.

5- الاغتراب عن الذات والآخر والطبيعة

تجتمع صور الاغتراب السابقة في علاقة الذات بذاتها، فالإنسان يغترب عن نفسه عندما يتبنى معايير خارجية بوصفها التعبير الوحيد عن قيمته، فيصبح الإنتاج والدخل والاستهلاك والقبول الاجتماعي مقاييس نهائية للنجاح، وقد يحقق الفرد هذه المقاييس كلها ويظل فاقداً للمعنى إذا لم تصدر غايات حياته عن قدرة واعية على الاختيار، ويغترب عن الآخر عندما يراه من خلال الوظيفة والمنفعة والمنافسة، فتضعف إمكانية الاعتراف به كذات لها قيمة لا تختزل في استعمالها.⁽³⁹⁾

ويتمد الاغتراب إلى الطبيعة عندما تُختزل إلى مخزون من الموارد، وإلى العمل عندما ينفصل الفاعل عن الغاية والمنتج وقرار التنظيم، غير أن أخطر صوره هو اغتراب الوعي نفسه؛ أي فقدان القدرة على تصور بديل للموجود، فإذا أصبح ما هو قائم هو ما يمكن التفكير فيه فقط، تحولت الهيمنة إلى حد داخلي للخيال، وصار الفرد قادراً على الدفاع عن الشروط التي تغربه لأنها تبدو له الصورة الوحيدة الممكنة للعقلانية.⁽⁴⁰⁾

تظهر هنا وحدة الإشكالية التي يقوم عليها البحث: العقل الأداتي لا يقف خارج الاغتراب بوصفه سبباً منفصلاً، بل يوفر اللغة التي تجعل العلاقات المغتربة تبدو طبيعية وضرورية، فالكفاءة والضرورة والأداء والسوق ليست مفاهيم باطلة في ذاتها، لكنها تصبح إشكالية عندما تعمل بوصفها أحكاماً نهائية تمنع السؤال عن الحرية والعدالة والمعنى، ومن ثم تبدأ مقاومة الاغتراب بإعادة الغاية والقيمة والاختلاف إلى قلب مفهوم العقلانية نفسه.

المبحث الخامس: إمكان التحرر وحدود المشروع النقدي

1- إشكالية معيار النقد: هل يقود نقد العقل إلى اللاعقلانية؟

يواجه مشروع هوركهايمر وأدورنو اعتراضاً فلسفياً أساسياً: إذا كان العقل الحديث متورطاً في الهيمنة إلى هذا الحد، فبأي معيار يمكن للعقل نفسه أن يدين الهيمنة؟ فالنقد يحتاج إلى أساس يميز بين التحرر والسيطرة، وإلا تحول إلى موقف تشاؤمي لا يستطيع تبرير أحكامه، وقد شكلت هذه المشكلة نقطة انطلاق مهمة للجيل الثاني، ولا سيما هابرماس، الذي رأى أن الجيل الأول بالغ في ربط العقل بالسيطرة، وسعى إلى إعادة بناء مفهوم للعقلانية يقوم على التواصل والحجاج.⁽⁴¹⁾

مع ذلك لا يساوي نقد هوركهايمر وأدورنو بين كل عقل وهيمنة، فموضوع النقد هو اختزال العقل في وظيفته الأدائية، بينما تفترض النظرية النقدية نفسها قدرة على كشف التناقض ورفض التشيؤ وتصور واقع أقل قهراً، كما أن الجدل السلبي عند أدورنو يقوم على ممارسة عقلية ترفض تحويل مفاهيمها إلى حقائق نهائية، ومن ثم يمكن قراءة المشروع بوصفه دفاعاً متوتراً عن العقل ضد تحوله إلى تقنية للسيطرة، لا بوصفه رفضاً للعقلانية من حيث المبدأ.⁽⁴²⁾

ترى الباحثة أن معيار النقد يمكن البحث عنه في قدرة العقل على مراجعة ذاته، وعلى الاعتراف بما لا تستنفده مفاهيمه، وعلى إبقاء الغايات مفتوحة للنقاش بدل تحويلها إلى معطيات ثابتة، فالعقل النقدي لا يقف خارج التاريخ ولا يدعي امتلاك حقيقة نهائية، لكنه يرفض أن تصبح الكفاءة المعيار الوحيد للمشروعية، وبهذا يحتفظ بإمكان التمييز بين تنظيم يخدم الإنسان وتنظيم يحوله إلى وسيلة، وبين معرفة توسع الحرية ومعرفة تعمق السيطرة.

2- استعادة الغاية الإنسانية للعقل

إذا كانت الأدوات تبدأ من فصل الوسيلة عن السؤال في الغاية، فإن مقاومتها تبدأ بإعادة الغايات إلى مجال النقاش العقلاني، ولا يعني ذلك العودة إلى نسق مغلق يفرض قيماً ثابتة، بل رفض إخراج الحرية والعدالة والكرامة من دائرة السؤال العقلي، فالقرار التقني يظل محتاجاً إلى تبرير إنساني، والمعرفة تظل مرتبطة بمسؤولية استخدامها، والعقلانية لا تكتمل بالحساب ما لم تشمل القدرة على الحكم والنقد والاعتراف بالآخر.⁽⁴³⁾

ويتصل تجاوز الاغتراب بإعادة الاعتبار للذات بوصفها مشاركة في تحديد الغاية، لا مجرد متكيفة مع بنية جاهزة، فالعامل أو المواطن أو المتعلم يكون أقل عرضة للتشيؤ كلما اتسعت قدرته على الفهم والمناقشة والمشاركة، لأن المشاركة تعيد وصل الفعل بمعناه ومسؤوليته، وبذلك لا يكون التحرر حدثاً داخلياً فردياً فحسب، بل يتطلب شروطاً اجتماعية تسمح للعقل النقدي بأن يمارس وظيفته بدل أن يُختزل في تنفيذ ما تقررته مؤسسات مغلقة.⁽⁴⁴⁾

3- الجدل السلبي والفن بوصفهما مقاومة لهيمنة الهوية

يحتفظ الفن عند أدورنو بإمكان نقدي لأنه يستطيع أن يوقف منطق الاستخدام المباشر ويقدم خبرة لا تختزل في المنفعة، فالعمل الفني الذي يحافظ على التوتر ولا يقدم مصالحة سهلة يذكر بأن الواقع ليس مكتملاً ولا نهائياً، وأن ما لا ينسجم مع القاعدة يملك حق الوجود، وتكمن قيمته الفلسفية في حماية مساحة للخيال والاختلاف، وهي المساحة التي يحاول العقل الأداتي تضيقها عندما يجعل القيمة مساوية للوظيفة والجدوى.⁽⁴⁵⁾ ويؤدي الجدل السلبي وظيفية موازية على مستوى التفكير؛ فهو يطالب المفهوم بأن يظل وإعياً بحدوده، وأن يعترف بما يفلت من الهوية، ومن ثم يصبح مقاومة للتشيؤ لأنه يمنع الفكر من اختزال الإنسان في تعريف واحد نهائي، لا يقدم الجدل السلبي صورة مكتملة للمجتمع المتحرر، لكنه يحفظ شرطاً أساسياً للتحرر: القدرة على نفي ما هو قائم عندما يدعي أنه الحقيقة الوحيدة، والإبقاء على إمكان المختلف.⁽⁴⁶⁾

4- حدود المشروع النقدي وإمكان التحرر

تكمن القوة الفلسفية لمشروع هوركهايمر وأدورنو في كشف أن الهيمنة لا تأتي دائماً من خارج العقل، بل قد تتخفى داخل أشكال شديدة التنظيم من العقلنة، وهذا الكشف يمنع مساواة النظام بالكمال، والكفاءة بالمشروعية، والتقدم التقني بالتقدم الإنساني، كما يفسر كيف يمكن للذات أن تشارك في إعادة إنتاج شروط اغترابها عندما تتبنى معايير النظام بوصفها معايير ذاتية لا تحتاج إلى مساءلة. في المقابل يظل المشروع عرضة للنقد حين تبدو بعض صياغاته وكأن المجتمع الحديث قد أغلق كل إمكان للمقاومة، أو حين يصبح نقد العقل الأداتي واسعاً إلى درجة تهدد المعايير التي يستند إليها النقد نفسه، وقد دفعت هذه الصعوبة مفكرين لاحقين إلى البحث عن أسس أكثر تحديداً للعقلانية والتحرر، غير أن هذا الاعتراض لا يبطل تشخيص الجيل الأول، بل يفرض استخدامه بوصفه أداة مساءلة مفتوحة لا نظرية شاملة تقسر كل أشكال الحياة الحديثة.⁽⁴⁷⁾

وترى الباحثة أن التمييز بين التقنية والأداتية يظل ضرورياً للحفاظ على دقة النقد، فالآلة والخوارزمية والإدارة ليست مغتربة في ذاتها، وإنما يتحدد أثرها بحسب الغاية التي توجهها ومقدار مشاركة الإنسان في تحديد هذه الغاية، ولهذا ينبغي أن ينتقل السؤال من رفض الوسائل إلى مساءلة نمط العقل الذي يقرر قيمتها: هل تزيد قدرة الإنسان على أن يكون فاعلاً حراً، أم تزيد فقط قدرة النظام على أن يستخدمه بكفاءة أكبر؟

يتضح في النهاية أن تجاوز الاغتراب لا يتحقق بوعي فردي معزول ولا بإلغاء التنظيم الحديث، بل باستعادة شروط التفكير الذي يستطيع مساءلة غاياته ومؤسساته ومفاهيمه، ويحتاج هذا العقل إلى فضاءات تسمح بالاختلاف والنقاش والمشاركة، وإلى ثقافة لا تحول النجاح إلى معيار وحيد لقيمة الإنسان، ومن ثم يظل مشروع التحرر عند النظرية النقدية مفتوحاً: إنه ليس وصفة نهائية، بل إبقاء العقل قادراً على مقاومة تحوله إلى أداة لإعادة إنتاج ما هو قائم.

الخاتمة

سعى هذا البحث إلى تحليل العلاقة بين العقل الأداتي واغتراب الإنسان في فكر هوركهايمر وأدورنو من داخل الإشكالية الفلسفية للعقل ذاته، وقد أظهر التحليل أن المسألة لا تتعلق برفض العقل أو التقنية، بل بنقد اللحظة التي يتخلى فيها العقل عن حقه في مساءلة الغايات ويقصر وظيفته على حساب الوسائل، ففي هذه اللحظة تصبح الكفاءة معياراً مكتفياً بذاته، ويغدو من الممكن أن تُدار الطبيعة والمعرفة والإنسان بالمنطق نفسه، فيتحوّل ما كان وسيلة لتحرير الذات إلى منطق يعيد تشكيلها وفق مقتضيات السيطرة.

كما تبين أن الاغتراب، في منظور النظرية النقدية، لا يقتصر على انفصال الفرد عن عمله أو نتاجه، بل يمس صلاته بذاته وبالأخر وبالطبيعة وبقدرته على تصور البديل، فالتشويش يحول الإنسان إلى موضوع قابل للقياس، وصناعة الحاجات تجعل الاختيار ممكنًا داخل أطر لم يخترها الفرد، والصناعة الثقافية قد تجعل الواقع القائم يبدو طبيعيًا ونهائيًا، وبهذا يمكن أن يتعايش الاغتراب مع الرضا والاندماج، لأن أخطر أشكاله هو أن تفقد الذات المسافة التي تسمح لها بإدراك اغترابها.

وكشف البحث أن هوركهايمر وأدورنو لا يقدمان بديلاً مكتملاً أو برنامجاً سياسياً نهائياً، لكنهما يحافظان على شروط فلسفية للمقاومة: استعادة السؤال عن الغاية، رفض اختزال الإنسان في الهوية والوظيفة، حماية الاختلاف، وإبقاء المفهوم مفتوحاً على ما لا يطابقه، ومن هنا تتضح قيمة العقل النقدي والجدل السلبي والفن، لا باعتبارها طرقاً للخروج من العقل، بل باعتبارها محاولات لاستعادة عقلانية لا تجعل السيطرة مرادفاً للحقيقة.

وترى الباحثة أن القيمة المستمرة لهذا المشروع تكمن في جعله معياراً لمساءلة كل عقلنة تدعي الحياد، فكل تقدم يحتاج إلى سؤال عن صورة الإنسان التي ينتجها، وكل نظام كفاء يحتاج إلى سؤال عن الغاية التي يخدمها، وكل معرفة قوية تحتاج إلى وعي بمسؤوليتها وحدودها، وعندما يستعيد العقل هذه القدرة على نقد نفسه وعلى الاعتراف بالأخر وبالاختلاف، يمكن أن يستعيد وظيفته التحريرية بدل أن يصبح مجرد أداة لإدارة الاغتراب.

النتائج

1- أظهر البحث أن العقل الأداتي ليس نقيضاً للعقل، بل صورة مختزلة منه تجعل العقلانية مساوية لحساب الوسائل والكفاءة، بينما يحتفظ العقل الموضوعي أو النقدي بحق مساءلة الغايات في ضوء الحرية والعدالة والمعنى.

2- تبين أن مفارقة التنوير تتمثل في إمكان انقلاب السيطرة على الطبيعة من وسيلة لتحرير الإنسان من الخوف إلى نموذج عام للعلاقة بالعالم، بحيث تمتد عقلانية الضبط إلى الذات والأخر وتصبح الهيمنة قابلة للظهور في صورة تنظيم عقلائي.

3- كشف التحليل أن هوركهايمر يرد أزمة العقل إلى انتقاله من البعد الموضوعي إلى الذاتي الأداتي، بينما يوسع أدورنو النقد عبر مفهوم الهوية والتماثل، وبذلك يتصل العقل الأداتي بالتشويش وفقدان الفرد لخصوصيته وقدرته على تجاوز الأدوار المفروضة عليه.

4- أظهر البحث أن اغتراب الإنسان يتخذ صوراً مترابطة: اغتراباً عن الذات حين تقيس نفسها بمعايير خارجية، وعن الآخر حين يتحول إلى منفعة، وعن الطبيعة حين تختزل إلى مورد، وعن الوعي حين يفقد القدرة على تصور ما يتجاوز الواقع القائم.

5- تبين أن الحرية لا تُقاس بكثرة البدائل وحدها، بل بقدرة الذات على مساءلة الحاجات والمعايير التي توجه اختيارها؛ ومن ثم قد تتعايش مظاهر الاختيار والرفاه مع أشكال عميقة من التكيف والاعتراب.

6- أكد البحث أن نقد هوركهايمر وأدورنو لا يستهدف إلغاء العقل أو التقنية، بل مقاومة اختزالهما في السيطرة والمنفعة، وأن الجدل السلبي والفن والعقل النقدي تمثل إمكانات للحفاظ على الاختلاف والمسافة النقدية في مواجهة التشويش.

7- خُصّ البحث إلى أن قوة المشروع النقدي تكمن في إبقاء العقل قادرًا على نقد ذاته وغايته، بينما يتمثل حدّه في صعوبة تحديد معيار إيجابي مكتمل للتحرر؛ ولذلك ينبغي التعامل معه بوصفه أفقًا للمساءلة لا نسقًا مغلقًا يفسر كل مظاهر الحداثة.

التوصيات

- 1- توسيع الدراسات التي تتناول أزمة العقل الحديث عند هوركهايمر وأدورنو من خلال مفاهيم الحرية والذات والهوية، لا الاكتفاء بحصر العقل الأداتي في تطبيقاته التقنية والاجتماعية.
- 2- تشجيع الدراسات المقارنة بين تصور هوركهايمر للعقل الموضوعي والذاتي، ونقد أدورنو للهوية، ومحاولة هابرماس إعادة بناء العقلانية، بما يوضح تطور السؤال عن معيار النقد والتحرر داخل مدرسة فرانكفورت.
- 3- إعادة دراسة مفهوم الاغتراب بوصفه مشكلة في تكوين الذات واستقلالها، مع التمييز بين الاندماج الاجتماعي الحقيقي وبين التكيف الذي يفقد الفرد قدرته على مساءلة حاجاته وغاياته.
- 4- الاهتمام بالجدل السلبي والجماليات عند أدورنو بوصفهما جزءًا أصيلًا من نقد العقل الأداتي، لما يقدمانه من دفاع عن الاختلاف واللاهوية في مواجهة منطق التماثل والتشويش.
- 5- توظيف مفاهيم النظرية النقدية في قراءة التحولات المعاصرة بشرط المحافظة على طابعها الفلسفي النقدي، وتجنب تحويلها إلى أحكام جاهزة تجعل كل تقنية أو تنظيم صورة تلقائية من صور الهيمنة والاعتراب.

الهوامش

- (1) توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعد هجرس، انظر ص 15-21؛ وكذلك كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2016، ص 13-14.
- (2) ماكس هوركهايمر، النظرية التقليدية والنظرية النقدية، ترجمة ناجي العونلي، منشورات الجمل، بيروت، ط1، 2015، ص 6-9؛ وانظر محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1997، ص 58-61.
- (3) ماكس هوركهايمر وتيودور أدورنو، جدل التنوير، ترجمة جورج كتورة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2006، ص 19-31.
- (4) هوركهايمر وأدورنو، جدل التنوير، مرجع سبق ذكره، ص 23-24؛ عبد الغفار مكاوي، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، ص 42، 62-63.
- (5) ألن هاو، النظرية النقدية: مدرسة فرانكفورت، ترجمة تائر ديب، دار العين للنشر، القاهرة، ط1، 2010، ص 24-29.
- (6) محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة: هابرماس نموذجًا، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 1998، ص 16-30.
- (7) كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث، مرجع سبق ذكره، ص 11-14، 37.
- (8) محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، مرجع سبق ذكره، ص 16-18، 27-31.

- (9) ثريا بن مسمية، مدرسة فرانكفورت: النشأة والتطور، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العراق، ط1، 2020، ص 11، 32، 101.
- (10) عبير سهام المهدي، «الفكر السياسي لمدرسة فرانكفورت النقدية»، المجلة السياسية والدولية، العدد 30، 2016، ص 219.
- (11) علاء حميد رشيد، «النقد الفلسفي من منظور ماكس هوركهايمر»، مجلة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 30، الجزء الأول، 2023، ص 272-273.
- (12) رمضان البسطاوي، «الأسس الفلسفية لنظرية أدورنو الجمالية»، مجلة أوراق فلسفية، العدد السابع، ص 226-240.
- (13) ألن هاو، النظرية النقدية، مرجع سبق ذكره، ص 28-29؛ ماكس هوركهايمر، النظرية التقليدية والنظرية النقدية، مرجع سبق ذكره، ص 384.
- (14) حسام الدين فياض، النظرية النقدية للمجتمع: مدرسة فرانكفورت نموذجًا، نحو علم اجتماع تنويري، ط1، 2010، ص 15-18.
- (15) صالح الدين أحمد الجماعي، الاغتراب النفسي والاجتماعي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2007، ص 57؛ حسن محمد حسن حماد، الاغتراب عند إريك فروم، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1995، ص 37، 68-71.
- (16) هوركهايمر وأدورنو، جدل التنوير، مرجع سبق ذكره، ص 43، 58، 62؛ كمال بومنيير، النظرية النقدية، مرجع سبق ذكره، ص 19، 34.
- (17) عبد الباسط عبد المعطي وعادل مختار الهواري، في النظرية المعاصرة لعلم الاجتماع، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1986، ص 300-307؛ توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، مرجع سبق ذكره، ص 47، 52.
- (18) هربرت ماركيز، الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت: دار الآداب، ط3، 1988، ص 11-18، 43-47؛ إريك فروم، المجتمع السوي، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، 2009، ص 57-59.
- (19) هوركهايمر وأدورنو، جدل التنوير، مرجع سبق ذكره، ص 10، 23-31.
- (20) المرجع نفسه، ص 30-31، 62؛ يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحدث، ترجمة فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1995، ص 173-180.
- (21) عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي، الحادثة وما بعد الحادثة، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط1، 2003، ص 207-208.
- (22) حسام الدين فياض، النظرية النقدية للمجتمع، مرجع سبق ذكره، ص 15-19.
- (23) عبد الله محمد عبد الرحمن، النظرية في علم الاجتماع: النظرية الكلاسيكية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2006، ص 449؛ محمد نور الدين أفاية، الحادثة والتواصل، مرجع سبق ذكره، ص 34.
- (24) حسن حنفي وآخرون، فلسفة النقد ونقد الفلسفة في الفكر العربي والغربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2005، ص 49-54.
- (25) محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مرجع سبق ذكره، ص 58-61.

- (26) ألن هاو، النظرية النقدية، مرجع سبق ذكره، ص 18، 55؛ وانظر ماكس هوركهايمر، Eclipse of Reason, Oxford University Press, 1947.
- (27) ماكس هوركهايمر، النظرية التقليدية والنظرية النقدية، مرجع سبق ذكره، ص 6-9؛ توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، مرجع سبق ذكره، ص 15.
- (28) رمضان البسطاوي، الأسس الفلسفية لنظرية أدورنو الجمالية، مرجع سبق ذكره، ص 227-240.
- (29) Adorno, Negative Dialectics, trans. E. B. Ashton, New York, 1973؛ وانظر رمضان البسطاوي، «الأسس الفلسفية لنظرية أدورنو الجمالية»، مجلة أوراق فلسفية، القاهرة، العدد 7، ج2، 2002، ص 226-240.
- (30) تيودور ف، أدورنو، نظرية استنطيقية، ترجمة ناجي العونلي، بيروت: منشورات الجمل، ط1، 2017، ص 5-8؛ رمضان البسطاوي، «الأسس الفلسفية لنظرية أدورنو الجمالية»، مرجع سبق ذكره، ص 226-240.
- (31) هوركهايمر وأدورنو، جدل التنوير، مرجع سبق ذكره، ص 62؛ يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحدث، مرجع سبق ذكره، ص 173-177.
- (32) هوركهايمر وأدورنو، جدل التنوير، مرجع سبق ذكره، ص 19-31.
- (33) هيربرت ماركيز، الإنسان ذو البعد الواحد، مرجع سبق ذكره، ص 18، 43-47؛ قيس هادي أحمد، الإنسان المعاصر عند هيربرت ماركيز، بيروت: دار الحقيقة، ط1، 1975، ص 110.
- (34) حسام الدين فياض، النظرية النقدية للمجتمع: مدرسة فرانكفورت نموذجًا، مرجع سبق ذكره، ص 17-19؛ فيل سليتر، مدرسة فرانكفورت: نشأتها ومغزاها - وجهة نظر ماركسية، ترجمة خليل كلفت، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ط2، 2004، ص 149.
- (35) عبد الوهاب المسيري وفتحي التريكي، الحدث وما بعد الحدث، مرجع سبق ذكره، ص 207-208.
- (36) إريك فروم، المجتمع السوي، مرجع سبق ذكره، ص 57-59، 72؛ حسن محمد حسن حماد، الاغتراب عند إريك فروم، مرجع سبق ذكره، ص 95.
- (37) هوركهايمر وأدورنو، جدل التنوير، مرجع سبق ذكره، ص 141-145؛ توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، مرجع سبق ذكره، ص 50.
- (38) ثريا بن مسمية، مدرسة فرانكفورت، مرجع سبق ذكره، ص 108-109؛ حسام الدين فياض، النظرية النقدية للمجتمع: مدرسة فرانكفورت نموذجًا، مرجع سبق ذكره، ص 15-16.
- (39) هيربرت ماركيز، الإنسان ذو البعد الواحد، مرجع سبق ذكره، ص 11-15؛ إريك فروم، المجتمع السوي، ص 105.
- (40) كمال بومنيير، النظرية النقدية، مرجع سبق ذكره، ص 19؛ هوركهايمر وأدورنو، جدل التنوير، مرجع سبق ذكره، ص 58.
- (41) يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحدث، مرجع سبق ذكره، ص 180؛ محمد نور الدين أفاية، الحدث والتواصل، مرجع سبق ذكره، ص 92.
- (42) ألن هاو، النظرية النقدية، مرجع سبق ذكره، ص 24-29؛ عبد الغفار مكاوي، النظرية النقدية، مرجع سبق ذكره، ص 42.

- (43) محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل، مرجع سبق ذكره، ص 27-31؛ كمال بومنيير، النظرية النقدية، مرجع سبق ذكره، ص 34.
- (44) ماكس هوركهايمر، النظرية التقليدية والنظرية النقدية، مرجع سبق ذكره، ص 98، 108؛ أريك فروم، المجتمع السوي، ص 57.
- (45) تيودور أدورنو، نظرية استيطيقية، ترجمة ناجي العونلي، منشورات الجمل، بيروت، ط1، 2017، ص 5-8.

(46) tci, orno, Negative Dialectics, opAd, Theodor W ; رمضان البسطاويسي، «الأسس الفلسفية لنظرية أدورنو الجمالية»، مرجع سبق ذكره، ص 240.

(47) للمقارنة النقدية انظر ستيفن إريك برونر، النظرية النقدية: مقدمة قصيرة جدًا، ترجمة سارة عادل، مراجعة مصطفى محمد فؤاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2016؛ وكذلك رولف فيجرهاوس، مدرسة فرانكفورت: تاريخها وتطورها النظري وأهميتها السياسية، ترجمة عصام سليمان وغانم هنا، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2022، ص 18-20.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الأساسية

- 1- أدورنو، تيودور ف، نظرية استيطيقية، ترجمة ناجي العونلي، بيروت: منشورات الجمل، ط1، 2017.
- 2- أدورنو، تيودور ف، Negative Dialectics، Translated by E. B, Ashton، New York: Continuum, 1973.
- 3- هوركهايمر، ماكس، النظرية التقليدية والنظرية النقدية، ترجمة ناجي العونلي، بيروت: منشورات الجمل، ط1، 2015.
- 4- هوركهايمر، ماكس، Eclipse of Reason، New York: Oxford University Press, 1947.
- 5- هوركهايمر، ماكس؛ وأدورنو، تيودور، جدل التنوير، ترجمة جورج كتورة، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2006.
- 6- ماركيز، هيرت، الإنسان ذو البعد الواحد، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت: دار الآداب، ط3، 1988.
- 7- فروم، إريك، المجتمع السوي، ترجمة محمود منقذ الهاشمي، دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، 2009.

ثانياً: المراجع العربية والمترجمة

- 1- أفاية، محمد نور الدين، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة: هابرماس نموذجاً، المغرب: أفريقيا الشرق، ط2، 1998.
- 2- بومنيير، كمال، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس هوركهايمر إلى أكسل هونيث، الجزائر: منشورات الاختلاف، ط1، 2016.
- 3- بن مسمية، ثريا، مدرسة فرانكفورت: النشأة والتطور، العراق: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط1، 2020.
- 4- بوتومور، توم، مدرسة فرانكفورت، ترجمة سعد هجرس، مراجعة حافظ دياب، طرابلس: دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، ط2، 2004.

- 5- برونر، ستيفن إريك، النظرية النقدية: مقدمة قصيرة جدًا، ترجمة سارة عادل، مراجعة مصطفى محمد فؤاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2016.
- 6- الجابري، محمد عابد، قضايا في الفكر المعاصر، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1997.
- 7- الجماعي، صالح الدين أحمد، الاغتراب النفسي والاجتماعي، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط1، 2007.
- 8- حنفي، حسن وآخرون، فلسفة النقد ونقد الفلسفة في الفكر العربي والغربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2005.
- 9- فياض، حسام الدين، النظرية النقدية للمجتمع: مدرسة فرانكفورت نموذجًا، نحو علم اجتماع تنويري، ط1، 2010.
- 10- مكاي، عبد الغفار، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت: تمهيد وتعقيب نقدي، مؤسسة هنداوي، 2018 (صدر أصل الكتاب سنة 1994).
- 11- المسيري، عبد الوهاب؛ والتريكي، فتحي، الحداثة وما بعد الحداثة، دمشق: دار الفكر المعاصر، ط1، 2003.
- 12- هاو، ألن، النظرية النقدية: مدرسة فرانكفورت، ترجمة ثائر ديب، القاهرة: دار العين للنشر، ط1، 2010.
- 13- هابرماس، يورغن، القول الفلسفي للحداثة، ترجمة فاطمة الجبوشي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1995.
- 14- فيجرهاوس، رولف، مدرسة فرانكفورت: تاريخها وتطورها النظري وأهميتها السياسية، ترجمة عصام سليمان وغانم هنا، بيروت: المركز العربي للأبحاث، ط1، 2022.
- 15- عبد المعطي، عبد الباسط؛ والهوري، عادل مختار، في النظرية المعاصرة لعلم الاجتماع، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1986.
- 16- عبد الرحمن، عبد الله محمد، النظرية في علم الاجتماع: النظرية الكلاسيكية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2006.
- 17- حماد، حسن محمد حسن، الاغتراب عند إريك فروم، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1995.
- 18- سليتر، فيل، مدرسة فرانكفورت: نشأتها ومغزاها - وجهة نظر ماركسية، ترجمة خليل كلفت، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ط2، 2004.
- 19- أحمد، قيس هادي، الإنسان المعاصر عند هربرت ماركيز، بيروت: دار الحقيقة، ط1، 1975.

ثالثًا: الدوريات والدراسات

- 1- البسطاوي، رمضان. «الأسس الفلسفية لنظرية أدورنو الجمالية»، مجلة أوراق فلسفية، القاهرة، العدد 7، ج2، 2002، ص 226-240.
- 2- رشيد، علاء حميد. «النقد الفلسفي من منظور ماكس هوركهايمر»، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج30، ع1، 2023، ص 262-285.
- 3- المهدي، عبيد سهام. «الفكر السياسي لمدرسة فرانكفورت النقدية»، المجلة السياسية والدولية، ع30، 2016، ص 203-238.